

1

الفصل الأول

تاريخ السجلات الطبية

History of Medical Records

مقدمة:

يسير تاريخ السجلات الطبية جنباً إلى جنب مع تاريخ الطب. إذ أن السجلات الطبية ضرورية لممارسة مهنة الطب كالدواء للمريض، فقد وجدت منذ عرف الإنسان مهنة الطب ومنذ تعلم كيف يوثق أفكاره وتجاربه ومشاهداته. فالاحتفاظ بالسجلات الطبية ليس أمراً محدثاً أو تطوراً جديداً في ممارسة مهنة الطب، بل قام الإنسان بذلك منذ أقدم العصور. ولا عجب أن نجد بعض النقوش والرسومات لنشر جمجمة وبتير أصابع منحوتة على جدران أحد الكهوف الإسبانية يعود تاريخها إلى العصر الحجري حوالي عام 25000 قبل الميلاد¹.

وعلى الرغم من اختلاف السجلات الطبية القديمة عن السجلات الحديثة اختلافاً تاماً، فإنها تعتبر شاهداً على أن أصحابها قد احتفظوا بسجلات طبية عن مرضاهم. وقد اعتمد عليها قدامى الأطباء في مصر واليونان وروما لكتابة أهم البحوث في الطب والجراحة. وساهمت هذه السجلات في تسهيل الإنجازات البشرية في ميدان الطب ونقلها إلى الأجيال اللاحقة.

وعلى أي حال، فسواء كانت السجلات الطبية مجرد نحوت على جدران الكهوف، أو نقوشاً على صخور مجوفة، أو رسوماً على صفحات طين بابلي محروق أو أحرفاً هيروغليفية على جدران قبور ومعابد المصريين القدامى، أو مخطوطات طويلة على ورق البردي، أو أبحاثاً طبية مكتوبة على مخطوطات ورقية خلال العصور الإغريقية والرومية، فإنها تكون قد حققت الهدف نفسه للأطباء القدامى والمحدثين فيما يتعلق بتوثيق الممارسة الطبية. ونقدم فيما يلي شرحاً أكثر تفصيلاً عن تاريخ هذه السجلات الطبية.

الحقبة المصرية:

يجد الباحث في التاريخ المصري القديم أن الحضارة المصرية القديمة كانت تنسب الإنجازات البشرية الهامة إلى الآلهة. وقد نسبت إلى إله الكتابة ثوث Thoth ستة وثلاثين كتاباً، منها ستة كتب في مواضيع طبية. وتبحث هذه الكتب مواضيع تتعلق بالجسم البشري وبعض الأمراض والعقاقير وأمراض العيون والأمراض النسائية. وبذلك أصبح Thoth الظهير

1. Huffman, Edna K. **Medical Record Management**. 10th ed. Physician Record Company, Berwyn, Illinois, U.S.A. 1994, P.2.

الأول المعروف لدى الأطباء المصريين القدامى، وكانوا يسألونه الهداية والإرشاد في هذا المجال، حتى أن اليونانيين وضعوه في نفس مرتبة هيرمز . Hermes وأول طبيب حقيقي في مصر هو أمنحوتب Imhotep الذي عاش في عصر الأهرامات (حوالي 2500 - 3000 ق.م.) وكان رئيساً للمهندسين المعماريين ورئيساً للوزراء والمستشار الطبي الملكي الفرعوني. وقد نسب James Henry Breasted عالم المصريات المعروف إلى أمنحوتب أقدم بردي طبية في التاريخ وهي المعروفة باسم بردي إدوين سميث Edwen Smith Papyrus التي يرجع تاريخها إلى عام 1600 ق.م. وقد نسخت عن الأصل القديم الذي يعود إلى عصر أمنحوتب عام 3000 ق.م. ولا يوجد ما يؤكد اسم الكاتب الأصلي لهذه البردي الطبية أو من قام بنسخها. وقد سميت هذه البردي بهذا الاسم نسبة إلى إدوين سميث أحد الدارسين في اللغة المصرية القديمة، والذي اكتشفها في القرن التاسع عشر. وهي عبارة عن شريط طوله حوالي 15 قدماً وعرضه 13 بوصة مكتوباً على الجهتين ويحوي وصفاً لثمان وأربعين حالة جراحية. وهي تعتبر أقدم ست أوراق مصرية تبحث في مواضيع جراحية. وهي محفوظة الآن في أكاديمية نيويورك الطبية في الولايات المتحدة الأمريكية وقد اعتبرت أول وثيقة طبية في تاريخ البشرية.¹

الشكل 1.1 جزء من مخطوطة بردي "إدين سميث" التي تعتبر أول وثيقة طبية في تاريخ البشرية



1. Huffman, Enda K op.cit , P.5.

2. دكتور حمارنة، سامي. تاريخ تراث العلوم الطبية عند المسلمين. المجلد الأول، عمان: سلسلة منشورات جامعة اليرموك لإحياء التراث العلمي العربي، 1986، ص. 69.

الحقبة اليونانية والرومانية:

لقد تأثر الطب اليوناني بالحضارات القديمة الأخرى وخاصة المصرية والبابلية والآشورية. وقد ارتبط تاريخ الطب اليوناني القديم باسم اسقليبيوس Aesculapius الذي كان يوازي في مرتبته الطبيب امنحوتب Imhotep المصري. اشتهر اسقليبيوس عند اليونان القدامى إذ أصبح من العسير معرفة إن كان إنساناً أو أسطورة. وينسب إليه علاج الكثير من المرضى الذين كانوا على وشك الموت وحالتهم ميؤوس منها. وقد صورته الفنانون والنحاتون القدامى وهو يحمل في يده عصاً معوجة ذات شعب من شجرة الخطمي، ويلتف على العصا أفعى كزينة ورمز لطول العمر. وقد أصبح الرسم شعاراً لمهنة الطب في العصر الحديث².

ويقال بأن بقايا المعبد الذي كان يمارس فيه اسقليبيوس مهنة الطب ما زالت ماثلة للعيان في Delphi في اليونان. ويذكر أيضاً بأنه وجد بين أنقاض معبد آخر في Epidaurus بالقرب من أثينا أعمدة منقوش عليها أسماء بعض المرضى وتاريخ مختصر عن حالاتهم المرضية وبعض الملاحظات حول شفائهم أو عدم شفائهم. وهذه الرسومات توازي في أهميتها والغرض منها السجلات الطبية التي نعرفها اليوم.

بقى حال الطب عند اليونان القدامى متأرجحاً بين الواقع والأسطورة إلى أن جاء أبقرات Hipocrates عام 460 ق. م. ووضع القواعد العلمية والواقعية للطب بعيداً عن الأسطورة والخيال وبذلك سمي أبقرات أبو الطب. ولا يزال قسم الطب الذي وضعه أبقرات معتمداً في معظمه لدى غالبية كليات ومعاهد الطب في العالم. وقد وضع أبقرات مؤلفات قيمة في الطب ترجمت إلى معظم لغات العالم وقد كان يحتفظ بتقارير مفصلة عن حالة مرضاه. ومن المخطوطات الطبية القيمة التي كتبها أبقرات عن حالة مريض كان مصاباً بالحمى، نذكر المخطوطة التالية والتي ترجمت عن اليونانية عام 1849:

"In Thasus, the wife of Philinus, having been delivered of a daughter, the lochial discharge being natural, and matters going on mildly, on the 14th day after delivery was seized with fever attended with rigor; was pained at first in the cardiac region of the stomach and right hypochondrium; pain in genital organs; lochial discharge ceased. Upon the application of a pessary all these symptoms alleviated; pains of the head, neck, and loins remained; no sleep;

1. Huffman, Edna K, op.cit. P.9.

extremities cold; thirst, bowels in a hot state; stools scanty; urine thin, and colourless at first. On the 6th towards night, senses much disordered, but again were restored. In the 7th thirsty; the evacuations bilious, and highly colored. On the 8th had a rigor, acute fever; much spasm with pain; talked much, incoherently; upon the application of a suppository, rose to stool, and passed copious dejection's, with a bilious flux; no sleep. On the 9th spasms.

On the 10th a slightly recollected. On the 11th slept; had perfect recollection. But again immediately wandered; passed a large quantity of urine with spasm (the attendants seldom putting her in mid); it was thick; white, like urine which had been shaken after it had stood for a considerable time until it had subsided; but it had no sediment; in color and consistence, the urine resembled that of cattle, as far as I observed. About the 14th day, startling over the whole body; talked much; slightly collected, but presently became again delirious. About the 17th day became speechless, on the 20th day died".

يعتبر جالينوس (201 - 131 ميلادي) أعظم أطباء الإغريق بعد أبقراط، ويقال عنه أنه منشئ الفسيولوجية التجريبية، وقد اشتهر بكثرة أسفاره، حيث كان له عدة تلاميذ يصطحبونه في جولاته على المرضى. وكان ماهراً جداً في صناعة الطب، وحصل على الزعامة الطبية في روما عام 164¹ ميلادي .

الحقبة البيزنطية والفارسية:

على الرغم من امتداد الدولة البيزنطية على مدار ألف سنة تقريباً فإن تاريخ الطب لهذه الفترة أنجز بشكل رئيس خلال القرون الثلاثة الأولى من الحضارة البيزنطية. فقد أسس نسطوريوس بطريرك القسطنطينية سنة 428 م طائفة النساطرة التي اتهم من انتمى إليها بالضلال، واضطهدوا وطردتهم إمبراطور البيزنطيين عام 489 م، فهاجروا إلى إيران ووصلوا إلى جنديسابور حيث انشئوا داراً للعلوم إلى جانب مستشفى كبير. وأصبحت جنديسابور أهم مركز ثقافي في زمن كسرى أنوشروان. وهكذا أصبح الثقل العلمي الطبي قبل ظهور الإسلام في جنديسابور في بلاد فارس².

1. د. شاهين، ي.أ. أثر العرب في الطب. محاضرة ألقى في جامعة اسكس في بريطانيا في شباط 1971، لونجمان-جامعة اسكس .
2. المرجع السابق، ص 8.

الحقبة الإسلامية:

من المبادئ التي قامت عليها الحضارة الإسلامية اهتمامها بالناحية الجسدية للإنسان بالإضافة للناحية الروحية، واعتبارها العناية بالجسم ومطالبه ضرورة لتحقيق سعادة الإنسان. وفي القرآن الكريم والسنة النبوية من النصوص التي تحث على المحافظة على صحة الجسم وصحة المجتمع ما يضيق ذكره في هذا العرض وفي مثل هذا الكتاب. عرف العرب مدرسة جنديسابور الطبية التي أنشأها كسرى في منتصف القرن السادس الميلادي وتخرج منها بعض أطبائهم كالحارث بن كلدا الذي عاش في عصر النبي صلى الله عليه وسلم. وكان النبي يشير على أصحابه بالتداوي عنده حين تتابهم الأمراض.¹

أول مستشفى متحرك عرفه المسلمون كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان ذلك في غزوة الخندق، حيث أمر بضرب خيمة لمعالجة الجرحى، فلما جرح سعد بن معاذ رضي الله عنه، أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يوضع في خيمة رفيده الإسلامية التي كانت تداوي الجرحى. وبذلك تعتبر رفيده أول ممرضة في الإسلام.²

وقد أنشئ أول مستشفى ثابت في الإسلام في عام 706م في عهد الوليد بن عبد الملك وكان خاصاً بمرضى الجذام. ثم تتابع إنشاء المستشفيات فيما بعد، وأصبحت تفيض بها المدن والعواصم ولم تخلُ بلدة صغيرة في العالم الإسلامي يومئذٍ من مستشفى فأكثر، حتى أن قرطبة وحدها كان فيها خمسون مستشفى³. وكان يدعى المستشفى "بيمارستان" وهي كلمة فارسية مركبة من مقطعين الأول "بيما" بمعنى مريض، والثاني "رستان" بمعنى دار.

وتنوعت المستشفيات، فهناك مستشفيات عامة تعالج الأمراض الداخلية والجراحية وأمراض العيون والأمراض العقلية وحالات الكسور... الخ. ومن الأمثلة على هذه المستشفيات:

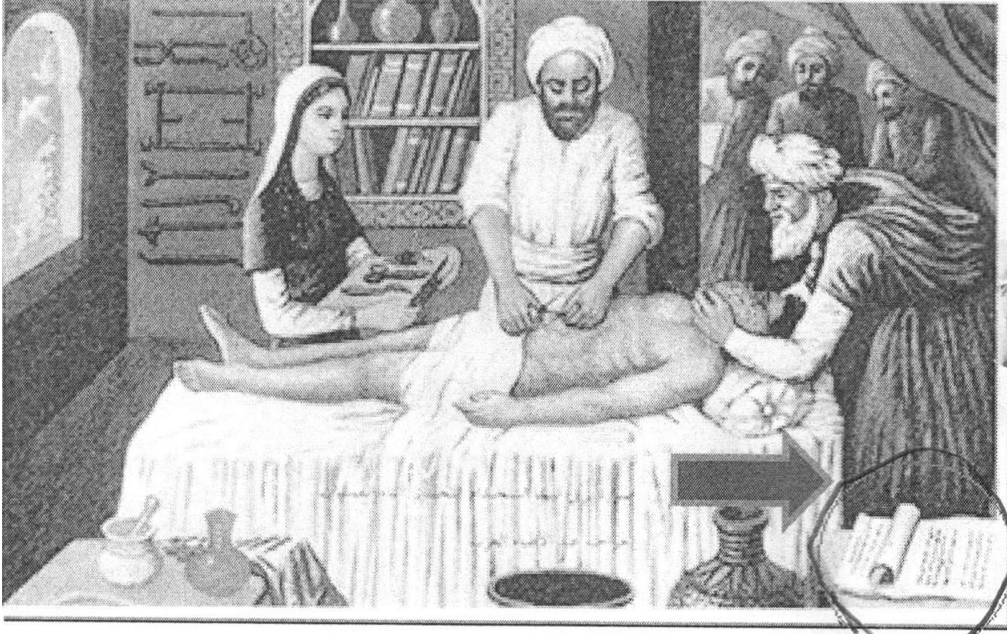
- المستشفى العضدي في بغداد. بناه عضد الدولة بن بويه عام 371هـ في بغداد. وقد اختار الرازي الطبيب المشهور مكانه حيث وضع أربع قطع من اللحم في أربع أنحاء من بغداد ليلاً، فلما أصبح، بحث عن أحسنها رائحة وقرر أن يبني المستشفى في المكان الذي وجدت فيه.

1. السباعي، مصطفى. من روائع حضارتنا. الطبعة الأولى، 1974

2. السباعي، مصطفى، مرجع سبق ذكره، ص. 138

3. لمزيد من الشرح والتفصيل حول المستشفيات الإسلامية راجع: كتاب تاريخ البيمارستانات في الإسلام، تأليف الدكتور احمد عيسى (الطبعة الثانية، بيروت: دار الرائد العربي، 1981).

الشكل 2.1 رسم لأطباء مسلمين يجرون عملية جراحية لمريض في مستشفى العضدي في بغداد (983م) ويظهر في الرسم السجل الطبي للمريض



- المستشفى النوري الكبير بدمشق. أنشأه السلطان نور الدين الشهيد سنة 549هـ/ 1154م. وقد زوده بالمواد الطبية والغذائية الكافية والحق به مكتبة طبية ضخمة. وعندما زار ابن جبير، الرحالة العربي المشهور، هذا المستشفى عام 1184 ميلادي، سجل إعجابه بالطريقة التي كان يحفظ فيها ناظر (مدير) المستشفى سجلاً كاملاً لجميع المرضى الذين تم علاجهم في هذا المستشفى. وقد كان الطبيب يسجل يومياً الأوامر العلاجية والغذائية بجانب اسم كل مريض³.
- المستشفى المنصوري الكبير في القاهرة. بناه الملك المنصور سيف الدين قلاوون عام

1. السباعي، مصطفى، مرجع سبق ذكره، ص. 122.

2. عيسى، أحمد، مرجع سبق ذكره، ص. 87.

3. Levey, Martin . "Medical Muslim Hospitals: Administration and Procedure", Journal of the Einstein Medical Centre, Volume 10, (July, 1962): PP.122 - 127.

1284م. وقد كان يقدم هذا المستشفى خدماته للغني والفقير على السواء. ومن أروع ما ذكر عنه أن المريض كان يفحص في العيادة الخارجية، فإذا قرر الطبيب إدخاله يقيد اسمه في سجل خاص ويدخل الحمام حيث يستحم ويستبدل ثيابه، التي توضع في مكان الأمانات ريثما يخرج، بثياب خاصة بالمستشفى. وكانت توجد فيه مياه جارية، وتنص لوائح الأنظمة فيه على ضرورة إيصال الطعام لكل مريض في إناء مستقل محكم الغطاء. وكان المستشفى يستخدم بالإضافة للأطباء ممرضين وموظفين للعناية بنظافة المستشفى وغسل الأغذية وثياب المرضى. وكان يوجد في المستشفى قاعات منفصلة للرجال والنساء مقسمة حسب الأمراض. وقد الحق بالمستشفى صيدلية ومكتبة ومسجد.¹

وقد عرف المسلمون أيضاً، المستشفيات المتخصصة فكان لديهم مستشفيات للأمراض العقلية ومستشفيات للجذام وأخرى للكسور. وكان لديهم أيضاً مستشفيات للسجون ومحطات إسعاف ودور للعجزة والمكفوفين.

وكانت المستشفيات الإسلامية منظمة تنظيمياً دقيقاً يضاها في بعض جوانبه أحدث المستشفيات الموجودة في عالمنا اليوم. وقد ذهب Martin Levey، الذي يعتبر أحد الباحثين البارزين في تاريخ العلوم الطبية، إلى أبعد من ذلك إذ قال: "إن إدارة المستشفيات الحديثة تعتبر امتداداً للإدارة التي استخدمها المسلمون في مستشفياتهم. فالمفاهيم الحديثة المتعلقة بمرضى العيادات الخارجية والمرضى الداخليين وتقسيم القاعات حسب الأمراض وطريقة فحص المريض والزيارات المنظمة لرئيس الأطباء وتنظيم الصيدليات والمستودعات وغيرها، جميعها أتت مباشرة من المستشفيات الإسلامية في القرون الوسطى"².

وقد كان رؤساء الشعب الطبية ذوي مقدرة فائقة ومعرفة عميقة، يراقبون المرضى يومياً ويستشير بعضهم بعضاً ويعطون الوصفات اللازمة شفهيّاً وكتابياً. وكثيراً ما تعقد الاستشارات الطبية فيتكلم أكبر المستشارين ويتم تدوين ما اتفق عليه. وكانت تدون ملاحظات

1. لمزيد من التفصيل حول هؤلاء الأطباء وغيرهم من الأطباء المسلمين يمكن الرجوع إلى:

- ابن أبي أصيبعة. عيون الأنباء في طبقات الأطباء.

- د حمارنه، سامي. تاريخ تراث العلوم الطبية عند المسلمين. عمان: منشورات جامعة اليرموك، 1986.

- د. محمد، محمود الحاج قاسم. الطب عند العرب والمسلمين: تاريخ ومساهمات. الدار السعودية للنشر والتوزيع، 1987.

2. Huffman, Edna K. , op. cit., P. 14.

يومية عن المرضى مما ييسر للطبيب متابعة حالة المريض بدقة وعناية. وكانوا يكتبون تاريخ المرض في سجلات تحفظ في المستشفى. وبذلك تكون المستشفيات الإسلامية أول من احتفظ بسجلات طبية منظمة للمرضى في التاريخ البشري.

ومن الأطباء المسلمين المشهورين الذين كان لهم أثر بالغ في تقدم العلوم الطبية في العالم، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: الطبري والرازي وابن سينا والزهرابي وابن رشد وابن النفيس¹.

شكل: (3/1)

رسم لأطباء مسلمين من القرون الوسطى وهم يناقشون حالة مرضية



المصدر: www.islamonline.net/.../02/IMAGES/PIC04a.jpg

المستشفيات الأوروبية في العصور الوسطى:

كانت المستشفيات الأوروبية في العصور الوسطى مرتبطة بالكنيسة حيث كان يشرف عليها ويديرها الرهبان والراهبات. وكانت المستشفيات عبارة عن دور عطف وإحسان. وكانت تعاني من أحوال سيئة ومستويات متدنية للغاية. ويعتبر مستشفى سانت بارثولوميو في لندن المستشفى الوحيد الذي ما زال موجوداً منذ العصور الوسطى حيث أسس عام 1137م. وهناك دلائل تشير بأنه كان يوجد سجل طبي لكل مريض منذ افتتاح المستشفى².

2. Huffman, Edna K. , op. cit., P. 15.

1. Huffman, Edna K., op. cit., P. 18.

عصر النهضة الأوروبية:

لقد تحسنت الظروف في مستشفى بارثولوميو في لندن أبان عصر النهضة الأوروبية وبالتحديد في عصر الملك هنري الخامس (1547 - 1509م). حيث وضعت القوانين التي تنظم عمل المستشفى، وقد نصت هذه القوانين على تعليمات تتعلق بالسجل الطبي من ناحية المعلومات الطبية والإدارية التي يجب أن تتوافر في هذا السجل وطريقة تسجيل هذه المعلومات وحفظها وتصنيفها للرجوع إليها عند الحاجة. وبذلك يعتبر مستشفى بارثولوميو في لندن الرائد في تنظيم السجلات الطبية الحديثة، ويعتبر الرائد أيضا في تأسيس المكتبة الطبية. وفي بداية القرن السابع عشر أصبح تسجيل الحالات المرضية لكل مريض وتدوين أوامر الطبيب وتقدم حالة المريض أثناء وجوده في المستشفى من الواجبات الرئيسية لكل طبيب في مستشفى بارثولوميو².

العصر الحديث:

كان بنجامين فرانكلين Benjamin Franklin أحد القادة الذين ساهموا في تأسيس أول مستشفى في الولايات المتحدة الأمريكية. ويعرف هذا المستشفى الآن باسم مستشفى بنسلفانيا حيث أسس في مدينة فيلادلفيا عام 1752م. وقد كان يعمل فرانكلين سكرتيراً لهذا المستشفى، والكثير من سجلات المستشفى الأول كتبت بخط يده. وخلال الخمسين سنة الأولى كان المستشفى يحتفظ بسجلات عامة عن المرضى يظهر فيه اسم المريض وعنوانه والمرض وتاريخ الدخول وتاريخ الخروج. وما زالت هذه المعلومات محفوظة لدى المستشفى وتشمل جميع حالات دخول المستشفى من تأسيسه لغاية الآن. وفي عام 1803م بدأ المستشفى يحتفظ بسجلات طبية لبعض الحالات المرضية الهامة. وفي عام 1873م أخذ المستشفى يحتفظ بسجل طبي لكل مريض ويستعمل فهرس المريض لأول مرة².

ولقد حدثت أهم مرحلة تطور حقيقية للسجلات الطبية في عام 1969 على يد الطبيب الأمريكي "لورنس ويد" الذي وضع الأسس الحديثة للجسل الطبي³ ثم بدأت بعد ذلك عمليات

1. Huffman, Edna K. , op. cit., P. 15.

2. Huffman, Edna K., op. cit., P. 18.

3. Weed L.L. Medical Records, Medical Education and Patient Care Year Book Medical Publishers , Chicago U.S.A 1971.

تحديث أرشفة السجلات إلا أن ظهور الحاسب الآلي كان النقلة الحقيقية للتطوير والتخزين فبدأ استخدام الميكروفيلم والميكروفيش وانتهى الأمر الآن بأن أصبحت السجلات الطبية سجلات إلكترونية وسيتم تدريجياً الاستغناء عن استخدام الورق والاعتماد على أنظمة إلكترونية لا ورقية.

ونتيجة لتقدم العلوم بشكل عام والعلوم الطبية بشكل خاص خلال القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين، ازداد الاهتمام ببناء المستشفيات وتجهيزها وتنظيمها في معظم دول العالم، وأصبحت السجلات الطبية ضرورة لا بد منها لكل مستشفى مهما كان حجمه ونوعه. وتعددت وظائف ومجالات استعمال السجل الطبي لتشمل بالإضافة إلى الرعاية الطبية التدريب والبحث العلمي والحماية القانونية للمستشفى والمريض، بالإضافة إلى أهميته في الصحة العامة والإحصاءات الحيوية. ونتيجة لهذه الأهمية أصبحت السجلات الطبية علماً وفناً يدرس في المعاهد والكليات وأصبح العمل في قسم السجلات الطبية يتطلب جهازاً بشرياً مدرباً ومتخصصاً في هذا المجال.

مراجع الفصل الاول:

1. Huffman, Edna K. **Medical Record Management**. 10th ed., Physician Record Company, Berwyn, Illinois, U.S.A., 1994.
2. دكتور حمارنة، سامي . تاريخ تراث العلوم الطبية عند المسلمين. المجلد الأول، عمان: سلسلة منشورات جامعة اليرموك لإحياء التراث العلمي العربي، 1986، ص69.
3. دكتور شاهين، ي.أ. أثر العرب في الطب. محاضرة ألقى في جامعة اسكس في بريطانيا في شباط 1971، لونغمان-جامعة اسكس).
4. الدكتور السباعي، مصطفى. من روائع حضارتنا. الطبعة الأولى 1974، ص137.
5. الدكتور عيسى، أحمد. تاريخ البيمارستانات في الإسلام. الطبعة الثانية، بيروت: دار الرائد العربي، 1981.
6. Levey, Martin. "Medical Muslim Hospitals: Administration and Procedure", Journal of the Einstein Medical Centre, Volume 10, (July, 1962).
7. ابن ابي اصيبعة. عيون الأنباء في طبقات الأطباء.
8. د. محمد، محمود الحاج قاسم. الطب عند العرب والمسلمين: تاريخ ومساهمات. الدار السعودية للنشر والتوزيع، 1987.
9. Weed L.L. Medical Records, Medical Education and Patient Care Year Book Medical Publishers , Chicago U.S.A 1971.